جند الفرنسيون جنودهم ، وقبضوا على زعماء الحزب وشردوهم ونفوهم ، ثم أطلقوا يد السنغاليين فى كل المدن والقرى ، فثاروا مأساة يندى لها جبين الإنسانية ، ومنعت الإدارة الفرنسية عن المدن والقرى مواد التموين الضرورية والماء والنور . ولكن المراكشيين ثاروا فى وجه الفرنسيين وحلفائهم السنغاليين ، فوقعت معارك طاحنة سقط فيها مئات المراكشيين ضحية دفاعهم عن حريتهم واستقلالهم ، وحكم بالإعدام على كثير من الوطنيين وبالذق والسجن مع الأشغال الشاقة على كثير غيرهم ولا يزال زعيم الحزب أحمد بلا فريج منفياً بجزيرة كورسيكا برغم إصابته بأمراض خطيرة . ولكن الحركة لم تمت بل ازداد الشعب إيمانا بحقه فى الحياة الحرة الكريمة ولا يزال يعمل برغم ما يتنابه من نكبات إلى أن يصل ، وسيصل ...

عبد الكريم غلاب

الشباب والفراغ والجدة

للأستاذ مصطفى القوني

[هذه الكلمة هى خاتمة الفصل الأخير من الطبعة الثانية من كتاب « الأثمان : عرض جديد لأصول علم الاقتصاد » الذى طبع فى دار الرسالة وظهر فى هذا الأسبوع عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة]

يصل المجتمع إلى أقصى قدر من الرفاهية الاقتصادية إذا استغل موارده على النحو الذى يتيح له أقصى قدر من الشباب والفراغ والجدة . ونعنى بالجدة الثروة . ونعنى بالفراغ أن يقصر وقت العمل بالقدر الذى يهيىء للناس التمتع بثمرات عملهم . ونعنى بالشباب علو مستوى الصحة العامة ، لأنه لا خير فى العيش إذا فسدت آلته ، وآلة العيش صحة وشباب .

والمشكلة الإقتصادية هى مشكلة قلة الوقت والموارد ، فاذا استطاع المجتمع أن يستغلها أفضل استغلال خفف من حدة قلتها وفاز من القليل بالكثير .

ولكن الثروة والفراغ والقدرة على الاستمتاع وإن كانت نعمة حين تتاح للناس فى مجموعهم ، فإنها تنقلب نقمة إذا اختص بها أفراد دون آخرين ، نقمة تفسر قول من قال :

« إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أىّ مفسده ! »

ولنرو الآن طرفاً من مفاسد تباين ثروات الناس وتباين دخولهم .

إن ثروات بعض الناس تغنيهم عن السعى لكسب أرزاقهم ، ويعيش مثل هؤلاء عيشة بطالة اختيارية . وليس للبطالين مايشغلهم غير الجرى وراء حوافز الاستمتاع ومثيرات الشهوات . فهم يخلقون لأنفسهم « حاجات » ثم يجرون وراء إشباعها . ويقبل البطالون على شرب الخمر ، مثلا ، تزجية للفراغ وهرباً من السأم والملالة ، ولكن غيرهم يحاول أن يجرى مجراهم فتشيع المفاسد بين العامة الذين يحاولون أن يتشبهوا بالخاصة وإن لم يكونوا مثلهم (١)

ومن هنا كان توجيه جانب من نشاط المجتمع الاقتصادى إلى إشباع « حاجات » البطالين ومن يجرون مجراهم . والنشاط الاقتصادى ، أو السعى للرزق ، عبارة عن صنع أشياء أو أداء خدمات يطلبها أناس ويدفعون نظيرها « ثمنا » . وإقبال الناس على شرب الخمر يدفع غيرهم إلى التوسل للعيش بالخدمة فى المواخير وطالب القوت ما تعدى .

وبعض من ينظرون فى كتب الاقتصاد نظرات عابرة ، يثنون على الاقتصاديين اعتبارهم الرغبات المحرمة والسافلة « حاجات » ويثنون عليهم وصف ما يسد هذه الرغبات بصفة « المنفعة » . ولكن الاقتصاديين يحللون النظام الاقتصادى ، بما فيه من خير وشر ، ويحاولون تفسير دوافع السعى للرزق وغايات هذا السعى . ويسعى المرء للرزق بالقيام بعمل « يطلبه » غيره ويدفع فيه « ثمناً » وتدفع الناس ثمناً لما يطلبونه لأنهم يرون فيه منفعة ، أى صلاحية لسد رغبة ؛ وقد تكون هذه الرغبة عالية أو سافلة ، حلالا أو حراماً ، خيراً أو شراً ، ضرورة أو ترفاً . وإهمالنا دراسة الحاجات التى يجرى بعض الناس وراء إشباعها ، بالرغم من أن

(١) انظر ارفنج فيشر : مبادىء الاقتصاد الأولية - ص ٤٩٤ وما بعدها .

فى هذا الجرى خروجاً على مبادىء الدين والخلق ، نقول إن إهمال هذه الحاجات هروب من الواقع الذى نتناوله بالتحليل للكشف عن علله وأسبابه وهل يتورع من يقومون ، فى المعامل ، بتحليل فضلات الإنسان أو الحيوان ، عن مسها لقذارتها أو لنجاستها ؟

ولنعد إلى مساوى تباين ثروات الناس . إن الإفراط فى الغنى كالإفراط فى الفقر ، نقمة على صاحبه . وإن أحس الفقير ألم الجوع فان الغنى قد يصاب بالتخمة . وإن لم يجد المعدم ما يستر عريه فان إفراط الثرى فى التأنق يحمله مما كان حرياً به أن ينأى عنه . وإن كانت مساكن العامة تزدحم بهم ازدحاماً ، فان عناية الخاصة بمساكنهم الرحيبة تشغل بالهم بما لا طائل وراءه .

وانقسام الشعب شعبين ، أغنياء وفقراء ، جناية على الأخلاق ، وبنات المعدمين فريسة سهلة لإغراء الثرين وسماسرتهم الذين يتوسطون بين من يبعن أجسادهن وأرواحهن وبين من يشترونها .

وتحاول الديمقراطية السياسية أن تسوى بين الناس ، وإن اختلفت أقدارهم فى المجتمع ، وذلك بأن تجعل لكل فرد صوتاً واحداً فى انتخاب السلطات الحاكمة . ولكن الناخبين عرضة لإغراء مرشحى المجالس النيابية الذين يحاولون ، وقد ينجحون ، شراء أصواتهم بالمال . وليس من السهل سيادة الديمقراطية ما لم تدعم الديمقراطية السياسية ديمقراطية اقتصادية .

ثم هناك مايجرى من سباق بين الثرين : سباق غايته الخيلاء والزهو الذى لاينتهى إلى نهاية . وتسابق أفراد الطبقات الموسرة فى مظاهر الغنى مصدر همّ لهم ، لأن كلا يسابق ويخاف أن يسبقه غيره . ومن سلع الترف ما يكاد يكون كل الغرض منه مجرد الزهو ، ومن السيدات من تقتنى جواهر نادرة ، تخاف عليها من السرقة فتصنع لها من الحلى المصطنعة نسخة تطابق الأصل ، وتخزن الجوهر النادر فى خزانتها وتتحلى فى زينتها بالحلى الزائفة . ومن جامعى روائع فن التصوير من يستأجر خبيراً يتعرف له أصالة الصور التى يقبل على شرائها ، لأنه يشتريها لا من إحساس بجمالها وإنما عن اعتزاز بمقدرته على شرائها .

وقد يرد على ما قدمناه من أمثلة على مساوىء توزيع الثروة ، بأن الإقبال على شراء شىء ، أيا كان هذا الشىء ، يدفع إلى عمالة بعض الناس ويسرع من دوران عجلة النشاط الاقتصادى ويشيع الرخاء . ولكن ليس سواء أن يعمل أناس فى صنع الخمر أو أن يعملوا فى صنع الخبز . وليس سواء أن يشتغل المرء بتجارة الماشية أو بتجارة الرقيق وإنه لإسراف ، ومفسدة أى مفسدة ، أن تحول بعض موارد المجتمع من إنتاج ما يسد الحاجات الضرورية لجمهرة الناس إلى إنتاج ما يشبع ثروات البطالين والمترفين .

وتقليل التفاوت بين الدخول يقلل من الظلم الاجتماعى ويهيىء الفرصة لزيادة رفاهية المجتمع . والقضاء على تباين توزيع الثروة ، وعلى تفاوت الفرص ، قد يكون عن طريق الثورة كما قد يكون عن طريق التطور التدريجى ، ولكل من السبيلين أنصار .

وتتدخل الحكومة محاولة إصلاح ما فسد ، وتفرض ضرائب على الموسرين والقادرين على تحمل عبء الضريبة ، وتنفقها على ما يعود بالخير على الجميع . وكلما زاد تدخل الحكومة فى هذا الشأن قل الذى بين الثورات المختلفة والدخول المختلفة ، وسار المجتمع خطوة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية .

مصطفى الفوتى

مطبعة الرسالة :

تقدم قريباً

أحمد عرابى

الزعيم المفترى عليه

للأستاذ محمود الخفيف